

الحياة الروحية في عالم مادي



Op

iers

الحياة الروحية في عالم مادي

تطبيق سفر دانيال فيه الوقت الحاضر

أجيث فرناندو

ترجمة

عصام داود خوري

Copyrighted Material

Ophir Printers & Publishers



ophir

Originally published in English under the title:
«**Spiritual Living in a Secular World**»
by Lion Hudson plc, Oxford, England.
Copyright © Lion Hudson plc (Monarch Books) 2002.
Text Copyright © 2002 by Ajith Fernando.

الحياة الروحية في عالم مادي

الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٩

حقوق الطبع محفوظة

رسم الغلاف: خوان ديفيد بويتريغو

Arabic Edition Copyright © 2009 by Ophir Printers & Publishers.

All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means – electronic, mechanical, photocopy, recording or any other – except for brief quotations in printed reviews, without prior permission of the publisher.

Cover Illustration by: Juan David Buitrago

أوفير للطباعة والنشر

ص.ب. ٣٠٦٢، عمان ١١١٨١، الأردن

هاتف: ٧٦٨ ٥٦٦٥ ٦ ٩٦٢+

فاكس: ٧٦٨ ٥٦٣٩ ٦ ٩٦٢+

Email: info@ophir.com.jo

www.ophir.com.jo

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٤/١٤٣٣

ISBN 978-90-5950-096-9

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

إلى

كومار وبريانى

دوليب وسيرو

بريان وروفينى

رافى وأنوشا

مع الشكر الجزيل

من أخ حصل على الكثير

لكنه أعطى القليل فيه المقابل

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers



المحتويات

١	مقدمة
٥	١ . الانخراط في العالم (دانيال ١: ١-٨، ١٧)
٢٥	٢ . ممارسة التزامنا الروحي في حياتنا اليومية (دانيال ١: ٨-٢١)
٤١	٣ . الحياة بسلام في عالم تسوده الضغوط (دانيال ١: ٢-١٦)
٥٣	٤ . أهمية المجموعات الصغيرة (دانيال ١٧: ٢-٢٣)
٦٩	٥ . الدعوة إلى الشهادة الشخصية (دانيال ٢: ٢٤-٤٩)
٨٥	٦ . الالتزام: سرُّ البطولة (دانيال ٣: ١-١٨)
١٠١	٧ . الله معنا (دانيال ٣: ١٩-٣٠)
١١٥	٨ . مواجهة الأقوياء بقوة الله (دانيال ٤: ١-١٨)

١٢٩	٩ . تقديم الشهادة إلى الأقوياء (دانيال ٤: ١٩-٣٧)
١٤٣	١٠ . أشخاص لا يكتفون بالله (دانيال ٥: ١-٣١)
١٥٧	١١ . عندما يتعرّض الصالحون للهجوم (دانيال ٦: ١-١٠)
١٧١	١٢ . مواجهة الضيقات من خلال الصلاة (دانيال ٦: ١٠-٢٨)
١٨٧	١٣ . العناصر الرئيسة للصلاة القويّة (دانيال ٩-١٠)
٢٠٥	١٤ . نبوءات دانيال الغامضة (دانيال ٧-١٢)
٢٢٣	١٥ . كيف نعيش في ظلّ الأيام الأخيرة (دانيال ٧-١٢)
٢٤٣	ملاحظات ختامية



مقدمة

إنَّه امتياز عظيم أن أعمل لأكثر من ٢٥ سنة مع متطوعي ”شباب للمسيح“ وأعضاء كنيسة الذين يسعون إلى أتباع المسيح في البيت والمدرسة ومكان العمل. كُتِبَ هذا الكتاب بشكل رئيس لأشخاصٍ مثل هؤلاء.

يحوز سفر دانيال تبصّراتٍ تساعد الناس الذين يسعون إلى إطاعة المسيح في عالمٍ بعيدٍ عن الله. وقد شاركتُ هذه الأفكار مع مجموعاتٍ كثيرة مختلفة من المستمعين في سريلانكا وخارجها، كان آخرها تقديم سلسلةٍ من سبعة أجزاءٍ في المؤتمر السنوي السابع والتسعين للمرامون في الهند. إنَّه لمن دواعي سروري أن أقدم هذه المادّة الآن إلى جمهورٍ أكبر من القراء في هيئة كتاب.

قمتُ بكتابة هذا الكتاب بدافع القناعة التي تقول إنَّ خبرات دانيال ورفقائه يمكنها أن تمددنا بالقوّة والمهارة لنعيش حياةً روحيةً في عالمٍ تزداد فيه قوّة العلمانيّة. قالت طبيبة أسنانٍ سمعتُ بعض المحاضرات التي آلت إلى كتابة هذا الكتاب: إنَّ حضور هذه المحاضرات كان كحضور جلسة

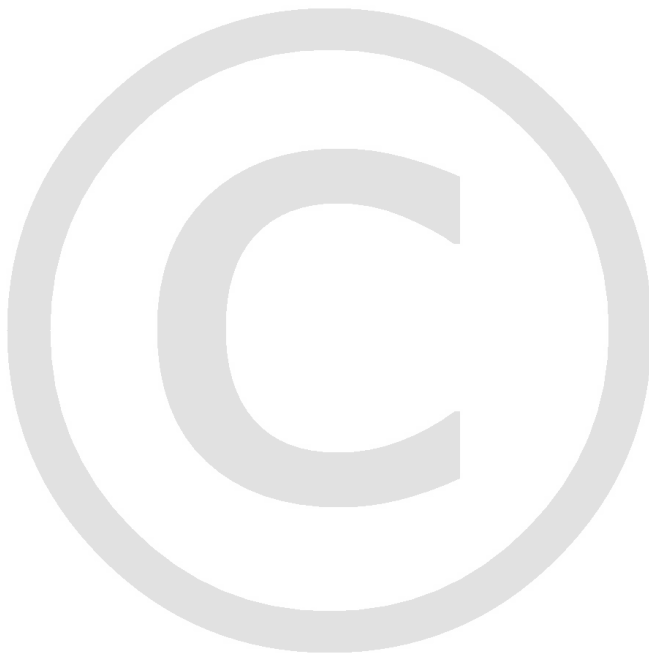
مشورة، إذ إنَّها حصَلتْ على نصائحٍ مفيدةٍ لمعالجة الحالات التي كانت تواجهها. هذه هي الغاية التي أبتغيها لقراء هذا الكتاب. هناك الكثير من الكتب والمراجع الرائعة عن التلمذة للمؤمنين الجُدد اليوم. وكم أَمَلُ أن يكونَ هذا الكتاب دليلاً للتلمذة، ليس للمؤمنين الجُدد فحسب، بل للناضجين منهم أيضاً.

ليس الهدف من هذا الكتاب أن يكونَ تفسيراً لسفر دانيال. إنَّه لا يتوقَّف عند كلِّ آيةٍ في السفر، بل يركِّزُ بشكلٍ رئيسٍ على تطبيق تعاليم سفر دانيال، التي استخرجناها بواسطة دراسةٍ دقيقةٍ ومعَمَّقةٍ للسفر، على الحياة اليوميَّة.

لكنَّ بعض تفاسير دانيال الرائعة قد ساعدتني في هذه الدراسة مساعداً كبيرة. وقد وجدتُ بشكلٍ خاصٍّ تفاسيرَ كليسن آرتشر، وجويس بولدوين، وجون كالفن، و آلان ميلارد، ورونالد واليس، وإدوارد يونغ مفيدةً جداً. لقد أدرجتُ التفاصيل المتعلقة بهذه التفاسير، وتفسيراتٍ أخرى، في نهاية الكتاب.

أودُّ أن أتقدِّمَ بالشكر إلى المؤمنين العديدين الذين سمحوا لي خلال السنين الفائتة أن أدخل عالمهم عبر مشاركتي خبراتهم والتحديات التي واجهوها. لقد كانت هذه الخبرات والتحديات مثل خلفيَّةٍ لجزء كبير ممَّا ورد في هذا الكتاب. كما أشكر كذلك زوجتي ”نيلون“ وولدي ”أسيري“ و”نيرمالي“، وزملائي في ”شبابٍ للمسيح“ على دعمهم وصلواتهم وتضحياتهم التي بدونها لما استطعتُ كتابة هذا الكتاب. وحرِّيُّ بالذكر أنَّ سكرتيرتي ”هيلين سلاه“ ومساعدتي ”مارودو بانديان“ قد قدِّمتا العديد من التفاصيل المتعلقة بهذا الكتاب. كانت

صداقتي لـ”تيم ستافورد“ ومشورته مصدر تشجيع كبير لي، كما أنّ مراسلاتي مع ”جاك كوهاتشيك“، محرّر (Lamplighter Books) في دار زوندرفان للنشر، قد أثّرت معرفتي وساهمت إلى حدّ كبير في تحسين مهاراتي الكتابية. أوجّه إلى جميع هؤلاء الأشخاص شكري العميق.



Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

الانخراط في العالم

دانيال ١: ٨-١٧

كان "وليم ولبيرفورس" أحد المصلحين الاجتماعيين العظماء في بريطانيا. وإذ كان عضواً في البرلمان على مدى خمس وأربعين سنة، فقد اعتُبر من أكثر الشخصيات المؤثرة في الحركة التي أدت إلى القضاء على العبودية في بريطانيا. وقد كان وليم أيضاً مسيحياً ملتزماً.

آمن ولبيرفورس بالمسيح بعد أن أصبح عضواً في البرلمان ببضع سنوات، وجاء إيمانه بعد فترة صراع. وفي وقت حاسم من ذلك الصراع طلب مشورة تاجر العبيد السابق "جون نيوتن" الذي كان حينذاك كاهناً أنكليكانياً ومؤلفاً للكثير من الترانيم، بما فيها ترنيمة "النعمة المدهشة" (Amazing Grace).

كان ولبيرفورس يشعر أنه إذا ما صار مؤمناً بالمسيح فإن عليه أن يكون مكرساً لله مستعداً لخدمته. واعتقد أن ذلك كان يعني التخلي عن أصدقائه وهجر عمله السياسي. كان يشعر أن عليه أن يختار بين المسيح والعالم. لكنّه أراد الاثنين معاً.

لكنَّ جون نيوتن حثَّه على عدم الانعزال عن أصدقائه الحاليين أو اعتزال الحياة العامَّة. وبعد سنتين كتب إليه نيوتن: ”أرجو أن يكون الربُّ قد أقامك لخير كنيسته ولخير الأُمَّة“. قَبِلَ ولبيرفورس نصيحة نيوتن واستمرَّ في ممارسة نشاطه السياسيِّ مع أنَّ معظم الإنجلييِّين في ذلك الوقت ”كانوا قد اعتزلوا الحياة العامَّة واعتبروها ذات صبغة علميَّة“^١.

يواجه كثير من المسيحيين اليوم، حالهم حال ولبيرفورس، صراعاً يدور حول التوفيق بين التكريس لله والانخراط في أنشطة هذا العالم. يسرد سفر دانيال قصة أربعة فتیان عاشوا في بيعةٍ وثنيَّةٍ تماماً. إنَّ خبرات هؤلاء الفتيان قادرة أن تعلمنا الكثير اليوم.

الله المهيمن: حتمه عندما ينتصر الشرُّ (١: ١-٢)

يبدأ سفر دانيال بعباراتٍ كئيبة. فقد هزم نبوخذنصر ملك بابل، يهوياقيم ملك يهوذا. وكان قد نُقِلَ كثيرٌ من اليهود إلى بابل كمسبيين. كما أنَّ بعض آنية الهيكل كانت قد نُقِلت إلى معبد الإله ”مردوك“ ووُضعت في خزانة بيت ”مردوك“ (٢: ١).

بحسب زكريا، كانت بابل المكان الذي كان سينتقل الشرُّ إليه (زكريا ٥: ٥-١١). كما كانت مركز العبادة للإله الممقوت جداً، مردوك أو بعل (انظر إشعيا ٤٦).

لكنَّ العبارة الثانية من سفر دانيال تبدأ بهذه الكلمات: ”وسلمَّ الربُّ بيده يهوياقيم“ (آية ٢). يؤكِّد كاتب السفر أنَّ الله كان مسؤولاً عن هزيمة شعبه وعن تدنيس آنية الهيكل المقدَّسة.

نرى هنا تعبيراً عن إيمان اليهود الأتقياء القويّ بهيمنة الله وسيادته .
حتّى حين كان يبدو وكأنّ الشرّ هو المسيطر، كان الله في الحقيقة هو
الذي يُهيمن على الأحداث ويحقّق مقاصده . في الحالة هذه، كان الله
يُعاقب شعب يهوذا بسبب عدم أمانتهم .

يظهر أمامنا موضوع سيطرة الله في سفر دانيال كلّهُ . إنّ الربّ
يعرف ما يحدث، حتّى الضيقات التي كان شعبه يحتملها بسبب
الأشرار؛ فقد سمح الله بها ولسوف يكون لها مكانها في مخطّطه
النهائيّ .

إنّ معرفتنا بأنّ الله هو المسيطر يمكن أن تحمينا من الشعور باليأس
والإحباط أثناء عيشنا كمسيحيين في ظروفٍ صعبة . كما أنّها تمنحنا
الشجاعة لنكون مطيعين عندما نكون أقلّيّةً صغيرة . سوف نشير مراراً
وتكراراً في هذا الكتاب إلى موضوع هيمنة الله .

يستطيع الله أن يستخدم القدرات الطبيعيّة (١: ٣-٥)

تقول الآيتان ٣ و ٤ إنّ الملك نبوخذنصر كان يبحث بين اليهود الذين
جلبهم إلى بابل عن قادة فتيان محتملين يستطيعون أن ”يخدموا في
بيت الملك“ . إذ كان قد قرّر أن يُثري مملكته باستغلال قدرات أشخاص
قادرين من تلك الأقلّيّة . فأوكل إلى أحد كبار موظفيه، أشفنز، مهمة
اختيار هؤلاء الأشخاص وإعدادهم لتولّي القيادة .

كان على الذين انضموا إلى تلك النخبة أن يلبوا متطلباتٍ عديدة .
إذ وجب أن يكونوا ”من نسل الملوك ومن الشرفاء، فتياناً لا عيب فيهم،

حسان المنظر، حاذقين في كلِّ حكمةٍ وعارفين معرفةً وذوي فهمٍ بالعلم والذين فيهم قوَّة على الوقوف في قصر الملك“ (الآيتان ٤ - ٥).

تذكر أنَّ متطلبات القيادة هذه كانت متطلبات الملك لا متطلبات الله. هناك بعض الأمثلة في الكتاب المقدَّس حيث استخدم الله فيها القدرات والموارد الطبيعيَّة لشعبه للقيام بعملٍ خاصٍّ لم يستطع الآخرون القيام به. لكنَّ الذين ينتمون إلى عائلاتٍ ثريَّةٍ أو أولئك من يمتلكون جاذبيَّةً جسديَّةً، ليسوا أكثر أهميَّة من الآخرين. بيد أنَّ الله يقدر أن يستخدم مواهبهم ومواردهم الطبيعيَّة كبركةٍ لتمجيد اسمه.

ويستطيع الله أيضًا أن يستخدم الأشخاص ذوي القدرات والموارد الطبيعيَّة المحدودة بطرقٍ هامة. نرى في الكتاب المقدَّس كلاً كيف اختار الله الضعفاء والفقراء والأُميين وذوي الإعاقات الجسديَّة للقيام بأعمالٍ عظيمة له (انظر ١ كورنثوس ١ : ٢٦ - ٢٩). حتَّى إنهم اتَّهموا الرسول العظيم بولس بأنَّه ”ذليل“ عندما وقف أمام الكورنثيين وجهًا لوجه، ”لكنَّه في الغيبة فمتجاسر“ (٢ كورنثوس ١٠ : ١). وادَّعى أهل كورنثوس أيضًا أنَّ رسائله ”ثقيلة وقويَّة، وأمَّا حضور الجسد فضعيف والكلام حقير“ (٢ كورنثوس ١٠ : ١٠).

وصف أحد الكتب في منتصف القرن الثاني بولس ”كرجل ذي قامة قصيرة ورأسٍ أصلع وساقين معوجَّتين وحالةٍ جسديَّةٍ جيِّدة، يلتقي حاجباه فوق عينيه وأنفه معكوف بعض الشيء“^٢. لا يمكننا التأكُّد تمامًا من مدى دقَّة هذا الوصف، غير أنَّ عالم الآثار الاسكتلندي السير وليم رامسي شعر بأنَّ هذا الوصف يستند إلى موروثٍ محليٍّ جيِّد لهيئة بولس، وذلك لأنَّه كان وصفًا متينًا إلى حدِّ كبيرٍ وغير تقليدي^٣.

إذاً ليس علينا أن نشعر بالغيرة من أشخاص يتسلقون السلم الاجتماعي بسبب مظهرهم الخارجي، أو مواهبهم، أو ارتباطاتهم العائلية. لقد أعطى الله كلاً منا أهمية خاصة في المسيح.

دور العلمانيين الفريد (٦:١)

تقدم لنا الآية ٦ الشخصيات الرئيسة في سفر دانيال: ”وكان بينهم من بني يهوذا دانيال وحننيا وميشائيل وعزريا“. لقد خطط الله أن يقوم بأعمال عظيمة، وأن يبقى اسمه حاضراً من خلال هؤلاء الأشخاص أثناء فترة كئيبة من تاريخ إسرائيل. لم يكن هؤلاء الأشخاص كهنة أو أنبياء، وأولئك هم من كانوا في العهد القديم ”الفعلة المسيحيين بدوام كامل“، بل كانوا فتياناً من عامة القوم.

من المحزن أننا عندما نفكر برجال الله العظماء، نفكر عادةً بالعاملين بدوام كامل. ومن المحزن أيضاً أن عدداً قليلاً جداً من السير الذاتية قد كتبت عن علمانيين تميزوا بأنهم خدام الله في مجتمعهم. يحتوي الكتاب المقدس على قائمة طويلة من الأبطال الذين لم يكونوا، ولم يصيروا قط فعلةً بدوام كامل. كان إبراهيم مالك ماشية، وكان يوسف موظفًا حكومياً، وكان يشوع قائداً للجيش، وكانت راعوث ربة بيت، وداود الذي دُعي ”رجلاً حسب قلب الله“ (١ صموئيل ١٣ : ١٤) أعمال الرسل ١٣ : ٢٢) كان في البداية راعياً ثم محارباً قبل أن يصير أخيراً حاكماً. كان نحميا حامل كأس الملك الفارسي، وكانت أستير ملكة في بلاط ملك فارسٍ آخر.

إن دور الواعظين هامٌ أيضاً، ويمكنهم أن يخصصوا بعض الوقت

لدراسة كلمة الله بطريقةٍ خاصّةٍ وتعليمها للآخرين. سنرى بعد قليلٍ أنّ دانيال ورفقاه كانوا قد تأثروا إلى حدٍّ كبيرٍ بنبوءات إرميا. لكنّ العالم سوف يلاحظ أهميّة المسيحيّة وعلاقتها بالحياة اليوميّة بشكل رئيس عبر العُلَمانيّين القادرين على نقل المسيحيّة إلى غرفة الصّف، وإلى الحيّ، والملاعب، والمكاتب، وأمكنة العمل. إنهم يبيّنون للعالم أنّ إنجيل المسيح له تأثير عمليّ في الحياة.

إنّ الشهادة التي للعلمانيّين هامةٌ بشكلٍ خاصّ عندما يتعرّض المسيح والإيمان به للهجوم، كما حدث في أيّام دانيال. يُتّهم المسيحيّون في هذه الأيّام بضيق أفق التفكير، وبمحاولة فرض آرائهم على الآخرين، وبتدمير ثقافة الناس، وبعدم النزاهة، وبأشياء أخرى عديدة. وهكذا ينتهي الناس إلى تكوين صورةٍ نمطيّةٍ عن شخصيّة الإنسان المسيحيّ الحقيقيّ، وهذه الصورة لا تدعو كثيرًا إلى الإطراء والإعجاب.

غير أنّ الناس حين يلتقون بمسيحيّين ملتزمين ومثابرين في عملهم ويتّصفون بالصدق والاستقامة ودماثة الأخلاق والاهتمام بالآخرين، فإنّهم سوف يُضطرونّ إلى مراجعة أنفسهم في ما يتعلّق بنظرتهم إلى الإنجيل. إنّ هذه الشهادة الرائعة التي للعلمانيّين تتحدّى الصورة النمطيّة الخاطئة السائدة في المجتمع عن المسيحيّة. سوف نرى هذا الأمر يحصل مرارًا وتكرارًا في حياة دانيال ورفقائه.

Copyrighted Material

Ophir Printers & Publishers

مظاهر الانخراط غير المستحبّة (٧:١)

كان أوّل ما حدث لدانيال وأصدقائه إعطاؤهم أسماءً جديدة. تقول الآية ٧: ”فجعل لهم رئيس الخصيان أسماءً فسّمى دانيال بلطشاصّر

وحنيا شدرخ وميشائيل ميشخ وعزريا عبد نغو“. يعلل آلان ميلارد الدافع وراء إطلاق أسماء جديدة أنه ”لتجنب الإرباك الذي قد يتأتى من استخدام أسماء أجنبية مختلفة؛ وللمساعدة على توحيد حاشية البلاط المختلطة؛ ولاستعراض سلطان بابل“ ٤ .

إنني لا أعتقد أن هؤلاء الفتيان قد كانوا سعداء بتغيير أسمائهم بشكل كلي بما يلائم الشعب الحاكم. يشير د. س. رسل إلى أن ”الاسم بالنسبة إلى العقلية العبرية هو أكثر من مجرد ”لقب“ أو تسمية، إذ إنه يتضمن ”روح“ وشخصية الإنسان، ويدل على ما هو عليه في أعماق كيانه“ ٥ . كانت الأسماء الجديدة التي تلقوها مرتبطة إلى حد ما بالآلهة البابلية. كان على الفتية الأربعة أيضا أن يتعلموا ”كتابة الكلدانيين ولسانهم“ وهما أدب وثني (الآية ٤). ولكنهم قبلوا مظاهر الانخراط غير المستحبة تلك لأنه وجب عليهم إطاعة الرياسات الفائقة.

عندما تدخل مجتمعا لديه قيم مختلفة عن قيمك، قد يطلب منك أن تقوم بأعمال لأحب القيام بها، ولكنك لا تعرض مبادئك المسيحية للخطر أو المساومة. قد تضطر إلى حضور حفلات سمر أو حفلات استقبال مملّة بالنسبة إليك، ومربكة في بعض الأحيان نظرا إلى وجود المشروبات الروحية الثقيلة والمزاح غير اللائق. إنك قطعاً لا تستطيع أن تتجنب تلويث نفسك في موقع عملك بسماع اللغة البذيئة أو الأحاديث غير المهذبة للأشخاص المحيطين بك؛ وقد تكون مواضيع اختبارات الكفاءة التي تضطر إلى الخضوع لها، بحسب رأيك، غير ذات فائدة بالنسبة إليك، أو أنها تتعارض مع أفكارك؛ ولكنك أمور يجب أن تقوم بها إن أردت أن تبقى في البيئة التي تسعى إلى خدمتها. ولذلك

فإنك تقوم بها حتى لو كنت لاترغب في ذلك .

لم يكن دانيال ورفقاؤه أشخاصاً معاندين يرفضون القيام بما لا يحبونه. إنني أعرف أناساً مسيحيين يبررون عدم قيامهم بما لا يرغبون القيام به بأعذار دينية. إذ قد يرفض شخص ما الذهاب إلى إحدى الحفلات، قائلاً إن حضور مثل هذه المناسبات الاجتماعية يتعارض مع مبادئه. ولكن السبب الحقيقي هو شعوره بعدم الانتماء إلى المكان ورغبته في تجنب الشعور وكأنه سمكة خارج الماء.

الطاعة عند الانخراط فيه المجتمع (١: ٨)

بالرغم من أن دانيال ورفقائه كانوا مستعدين لأن يتخذوا أسماءً جديدةً وأن يقوموا بدراسة مواضيع لا يرغبون في دراستها، إلا أنهم رفضوا فعل أشياء تتعارض ومبادئهم. تقول الآية ٨: ”أما دانيال فجعل في قلبه أنه لا يتنجس بأطياب الملك ولا بخمر مشروبه فطلب من رئيس الخصيان أن لا يتنجس“. نرى لاحقاً أن الرفقاء الثلاثة الآخرين قد انضموا إلى دانيال في تصميمه على الامتناع عن تناول الطعام (الآيات ١١ - ١٤).

قُدِّمت أسبابٌ عديدةٌ لرفضهم تناول الطعام وشرب الخمر. ولكن لا يُعتبر أيٌّ من هذه الأسباب حاسماً. ربما كانوا مرتابين من أن يكون الطعام قد قُدِّم أولاً إلى الأصنام. ولكن، وكما يشير جون غولدنغي، كان هذا سينطبق أيضاً على الطعام النباتي الذي تناولوه. ربما كانوا مرتابين كذلك من تناول طعام أعلن أنه نجس. وهنا يفترض غولدنغي أن هذه ربما كانت طريقتهم التي ترمز إلى تفاديهم التمثُّل بالممارسات الوثنية. بالرغم من أن ما قام به الفتیان الأربعة يبدو أمراً تافهاً، إلا أنه يتضمن معاني عميقة جداً.

كان هذا زمن الإحباط والهزيمة بالنسبة إلى شعب الله . لقد ناضلوا للبقاء على قيد الحياة دون أن يستسلموا لممارسات غالباً ما يعتبرها الأشخاص الأبرار خاطئة. أعتقدُ أنَّ رونالد والاس قد وصل إلى صميم موقف دانيال حين كتب: ”في ظلِّ ظروف المنفى، شعر دانيال أنَّ السبيل الوحيد لإيقاف الانسياق اليائس بعيداً عن الله هو التمسُّك الثابت بالناموس، حتَّى في المسائل التي قد تبدو في أوقاتٍ أخرى مستغربةً وغير هامةٍ“^٦.

اختار دانيال ورفقاؤه التضحية بمتعتهم في سبيل مبادئهم. ولكنَّ تضحياتهم هذه رفعتُ اسم الله عالياً، وبثَّت الشجاعة في قلب الشعب الذي كانتِ الهزيمة قد زعزعتْ ثقته بنفسه. لقد بيَّنوا أنَّ ما يعتبره آخرون أساسياً، يمكن الاستغناء عنه من أجل ملكوت الله. وحتَّى في الوقت الذي بدا فيه أنَّ ملكوت الله مهزومٌ ولا أمل في انتصاره، أعلن هؤلاء الأشخاص، بسلوكمهم الذي اتَّصف بالطاعة الرَّاسخة، أنَّ الملكوت ناشطٌ ومفعمٌ بالحياة، وأظهروا إيماناً واثقاً بالإله الأزليّ.

إذاً، كان هؤلاء الفتيان الأربعة منخرطين كلياً في شؤون العالم. وكانوا على استعدادٍ لبذل جَهدهم في تعلُّم دروس الثقافة الوثنيَّة التي كانوا يتلقونها. لقد قبلوا الأسماء الوثنيَّة التي أُعطيت لهم؛ ولكنهم ما كانوا ليعرِّضوا مبادئ دينهم للخطر أو يتنازلوا عنها. إنَّ هذا يعطينا لمحةً بشأن أسلوب مقارنة المسيحيِّين الكتابيِّين (أي الذين يتَّخذون الكتاب المقدَّس معياراً لهم) للمجتمع. ولكن فلنبيِّن أولاً مواطن التباين ما بين المقاربة الكتابيَّة ومقاربتين غير كتابيَّتين نَجدهما في أيَّامنا هذه.

المقاربة الأولى للمجتمع هي **الانعزال**. يقول بعض المسيحيِّين إنَّه

بما أن المجتمع شريرٌ ويعمل ضدَّ ملكوت الله، فإنَّ انخراطهم فيه لن يكون كبيراً. فهم لا يعرفون الكثير عمَّا يجري في العالم. إنَّهم يعيشون فحسب ويؤدُّون أعمالاً تتعلَّق بالكنيسة.

ولكنَّنا بهذه المقاربة لا نستطيع تحقيق دعوة المسيح بأن نكون ”ملح الأرض“ (متى ٥ : ١٣). لا يستطيع الملح أن يقوم بعمله ما لم يتغلغل في المادَّة التي يعمل فيها. حتَّى الله، الكلمة الأزليَّة، كان عليه أن يصير جسداً ويحلَّ بيننا (يوحنا ١ : ١٤) قبل أن يخلِّصنا. قال يسوع عندما صلَّى لأجل تلاميذه: ”لست أسأل أن تأخذهم من العالم... كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم“ (يوحنا ١٧ : ١٥ - ١٨). بمثل هذه الكلمات التي تلفَّظتْها شفِّتاً سيِّدنا، لا يمكننا عزل ذاتنا عن العالم.

المقاربة الثانية للمجتمع هي التكيِّف. يقول بعض المسيحيِّين إنَّ طرق العالم مختلفة عن طرق الكتاب المقدَّس. إذا أرادو أن ينجحوا في المجتمع فإنَّ عليهم أن يتكيَّفوا معه، حتَّى ولو عنى ذلك مخالفة بعض المبادئ الكتابيَّة. وهم يدَّعون أن هذا ضروريٌّ بشكل خاصَّ عندما يكون المسيحيُّون المؤمنون أقلِّيَّة صغيرة. حين يكونون بين مسيحيِّين، يتصرَّفون كمسيحيِّين؛ ولكنَّهم عندما يوجدون في العالم، فإنَّهم يتصرَّفون مثل الآخرين.

يشكل دانيال ورفقاؤه تحدياً كبيراً لتطبيق أسلوب التكيِّف. لقد كانوا منغمسين تماماً في الثقافة الوثنيَّة، واجتهدوا في عملهم ونجحوا في المجتمع. ولكنَّهم لم يتنازلوا عن مبادئ دينهم. إنَّهم بذلك يطلِّقون تحدياً قدام أصحاب النظريَّة القائلة إنَّه يستحيل الالتزام الكليُّ بالله

وبمبادئهِ في عالمٍ بعيدٍ كلَّ البُعدِ عن الله .

إنَّ مقاربتهم هي مقاربة الطاعة في الانخراط . يدَّعي الذين يؤمنون بهذه الفكرة أنَّه بما أنَّ الله قد خلق هذا العالم؛ فإنَّ الطريقة الفضلى للعيش فيه هي باتِّباع وصايا الخالق . إنَّهم يتحدَّون، بأسلوب حياتهم والشهادة التي يقدِّمونها، حكمة العالم عندما تتعارض مع حكمة الله . و هم يبرهنون على أنَّ طرق الله هي فعلاً أنجح الطرق . ويدخلون إلى العالم مسلَّحين بالثقة التي ولَّدها إيمانهم بأنَّ الله هو خالق هذا العالم . ولكي يعرفوا ما هي مقاصد الله لحياتهم حين خلقهم؛ فهم يقومون بدراسة كتاب تعليماته: الكتاب المقدَّس . ومن ثمَّ يعملون على تطبيق ما تعلَّموه في حياتهم اليوميَّة .

أهمِّيَّة كلمة الله (٩: ٢؛ إرميا ٢٩: ٤-٢٣)

تأثَّر دانيال ورفقاؤه تأثُّراً عميقاً بالرسالة التي بعث بها النبيُّ إرميا إلى المسبيين . ولكون تلك الرسالة ذات طبيعة تنبؤيَّة؛ فقد كانت كلمة الله . تبدأ هذه الرسالة التي وردت في سفر إرميا ٢٩ بالتأكيد على سيادة الله حتَّى في الأوقات التي تغمر الكآبة فيها الشعبُ كلُّه: ”هكذا قال ربُّ الجنود إله إسرائيل لكلِّ السبيِّ الذي سبيته من أورشليم إلى بابل“ (الآية ٤) . نُصِحَ الشعب حينها بالقول: ”ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جَنَّاتٍ وكلوا ثمرها . خذوا نساءً ولدوا بنين وبنات . . . واكثروا هناك ولا تقلُّوا“ (الآيتان ٥-٦) . لقد طُلِبَ منهم أن يعيشوا حياتهم الاعتياديَّة قدرَ المُستطاع . وقد ذهب الله إلى حدِّ القول: ”واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها وصلُّوا لأجلها إلى الربِّ لأنَّه بسلامها يكون لكم سلام“ (الآية ٧) .

إنَّ هذا الموقف يتعارض تماماً مع مشاعر يهود آخرين مسيَّبين في
بابل كما ورد في المزمور ١٣٧ : ١-٤

على أنهار بابل هناك جلسنا،
بكينا أيضاً حين تذكَّرنا صِهْيُون
على الصنفاصاف في وسطها علقنا أعودنا ...
كيف نرثم ترنيمَةَ الرب في أرض غريبة؟

تُقدِّم رسالة إرميا نصيحةً أخرى وثيقة الصلة بالموضوع. عندما
يبدو أن الأمور تتخذ منحى خاطئاً، فقد تُسَوَّل للمؤمن نفسه أن يعتمد
على المنجِّمين أو الروحانيين التماساً للحكمة التي تمكنه من معرفة ما
الذي يجري. وقد أُنذِر المسيَّبون من التعرُّض لهذه التجربة، كما وحذروا
من الأنبياء الكذبة و المشعوذين (٢٩ : ٨-٩). ومن ثمَّ ذكر لهم وعد
الله لشعبه باستعادة ما فقدوه وبمستقبلٍ مجيد (الآيات ١٠-١٤). ثمَّ
تلا ذلك عبارةً قويَّةً تتعلَّق بالدينونة التي تنتظر أولئك الذين قد عصوا
الله (الآيات ١٥-٢٣).

تُقدِّم لنا رسالة إرميا الطعام الذي ينبغي أن يتلقاه من يتغذى بكلمة
الله. وهو يتكوَّن من الوحي، والوعد، والنصح، والتحذير. باستطاعتنا
أن نرى كيف عملت هذه الحمية الغذائيَّة على تغذية الفتية الأربعة
الذين كانوا يَنشُدون الطاعة في ظلِّ مثل هذه الظروف الصعبة. يبيِّن
لنا سفر دانيال ٩: ٢٠ كيف أثَّرت هذه الرسالة مباشرةً في تفكير دانيال.

وهو يقول في هذا: ”أنا دانيال فهمتُ من الكتب عدد السنين التي
كانت عنها كلمة الربِّ إلى إرميا النبيِّ لكماله سبعين سنة على خراب
أورشليم“. إنَّ هذا الإدراك يحثُّ دانيال على رفع صلواته المعروفة التي
سنناقشها في فصل لاحق من هذا الكتاب.